

تفسير البحر المحيط

@ 180 @ وصاروا { كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ } وهو ما تفتت وتهضم من الشجر . والمحتظر : الذي يعمل الحظيرة ، فإنه تفتت منه حالة العمل وتتساقط أجزاء مما يعمل به ، أو يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول الزمان ، تطأه البهائم فيتهشم . وقرأ الجمهور : بكسر الظاء ؛ وأبو حيوه وأبو السمال وأبو رجاء وأبو عمرو بن عبيد : بفتحها ، وهو موضع الاحتظار . وقيل : هو مصدر ، أي كهشيم الاحتظار ، وهو ما تفتت حالة الاحتظار . والحظيرة تصنعها العرب وأهل البوادي للمواشي والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب . والخطر : المنع ؛ وعن ابن عباس وقتادة ، أن المحتظر هو المحترق . قال قتادة : كهشيم محترق ؛ وعن ابن جبير : هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي . وقيل : المحتظر بفتح الظاء هو الهشيم نفسه ، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته ، كمسجد الجامع على من تأوله كذلك ، وكان هنا قيل : بمعنى صار . .

قوله عز وجل : { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ ذُرُّوا * إِذْ نَزَّنا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَامِيبًا إِلَّا لَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَابٍ * نَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا * بِالَّذِينَ ذُرُّوا * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ فطمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّوا * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّوا * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا * كُفَّاهَا فَأَخَذْنَاهاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكْفَسَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عُلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِذْ نَزَّنا كُلَّ شِدَّةٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شِدَّةٍ فَعَلَّوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ . . }

تقدمت قصة لوط عليه السلام وقومه . والحاصب من الحصباء ، وهو المعنيُّ بقوله تعالى : { وَأَمْطَرْنَا نَارًا عَلَيْهِمْ مِنْ حِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ } . { إِلَّا لَئِن لُّوطٍ } ، قيل : إلا ابنتاه ، و { بِسَحَابٍ } : هو بكرة ، فلذلك صرف ، وانتصب { نِعْمَتًا } على أنه مفعول من أجله ، أي نجيناهم لإنعامنا عليهم أو على المصدر ، لأن المعنى : أنعمنا بالتنجية إنعاماً . { كَذَلِكَ نَجْزِي } : أي مثل ذلك الإنعام والتنجية نجزي { مَن شَكَرَ } إنعامنا وأطاع وآمن . { وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بِطُغْيَانِهِمْ } : أي أخذتنا لهم بالعذاب ، { فَتَمَارَوْا } : أي تشككوا وتعاطوا ذلك ، { بِالذُّرِّ } : أي بالإندار ، أو يكون جمع نذير . { فَطَمَسْنَاهَا } ، قال قتادة : الطمس حقيقه جر جبريل عليه السلام على أعينهم جناحه ، فاستوت مع وجوههم . وقال أبو عبيدة : مطموسة بجلد كالوجه . قيل : لما صفقهم جبريل عليه السلام بجناحه ، تركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب ، حتى أخرجهم لوط عليه السلام . وقال ابن عباس والضحاك : هذه استعارة ، وإنما حجب إدراكهم ، فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً ، فجعل ذلك كالطمس . وقرأ الجمهور : فطمسنا بتخفيف الميم ؛ وابن مقسم : بتشديدها . { فَذُوقُوا } : أي فقلت لهم على السنة الملائكة : ذوقوا . . { وَلَقَدْ صَبَّبَ عَلَيْهِمْ سُكْرَةَ } : أي أول النهار وباكروه ، لقوله : { مُشْرِقِينَ } و { مُصْبِحِينَ } . وقرأ الجمهور : بكرة بالتنوين ، أراد بكرة من البكر ، فصرف . وقرأ زيد بن علي : بغير تنوين . { عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ } : أي لم يكشفه عنهم كاشف ، بل اتصل بموتهم ، ثم بما بعد ذلك من عذاب القبر ، ثم عذاب جهنم . { فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُرِّي } : توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس ، وهذا عند تصيح العذاب . قيل : وفائدة تكرار هذا ، وتكرار { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا } ، التجرد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ، للاتعاض واستئناف التيقظ إذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة ، وهكذا حكم التكرير لقوله : { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن . وقوله : { وَيَلُؤْئِلُ يُؤْمِنُ } لئلا يكذب بين كل آية أوردتها في سورة والمرسلات ، وكذلك تكرير القصص في أنفسها ، لتكون العبرة حاضرة للقلوب ، مذكورة في كل أوان . .

{ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ الذُّرُّ } : هم موسى